سبب انتصار العرب وفتح الاسلام

سوريا والاسلام

(٧) نهوض الدولة العربية وسقوطها

ماتا قشنا احدا وكنا عند الرد على كل جملة من كلامه نلوم النفس على التصدي له الا كاتب مقالات (سوريا والاسلام) فان من كان يخلق مايقول ويفتحر له علله و تأتجه افتحارا لاينبغي اضاعة الوقت في الرد عليه وان ساء تأثير قوله وقد خطر لنا الآن ان نترك الرد عليه لولا انا لانحب ان نشرع في شيء وندع اتمامه مختارين

قال ان سبب تأسيس تلك المملكة العربية العظيمة هي (١) كون جنات عدن لايدخلها الا المجاهدون وهذا الحصر غير صحيح في الاسلام

و (٢) الغنائم والتحف التي كانت ترسل من سوريا الى بلاد العرب: وهذا هذيان ظاهر فان كل فاتح يغنم وما كل من غنم اسس مثل ذلك الملك العظيم . ثم ان ارسال الغنائم من الفاتحين بالفعل الى المقيمين في بلاد العرب لاينبغي ان يزيد في همتهم امما يزيد فيها استئثارهم بما يغنمون . و (٣) تولية كل قائد على البلاد التي يدوخها وهذا غير صحيح واذا صح فهو لا يصلح سببا لان القائد في العرب لم يكن حاكما مستبدا مستعينا بالجيش يسيرهم لمصلحته ولان أكثر أولئك القواد الكرام لم تكن لهم عناية بالولاية

والسبب الصحيح لتأسيس الدولة العربية هو أن الامم التي فتحت العرب بلادها كانت كلها فاسدة الدين والاخلاق مختلة النظام ممتلة الاحكام فجاء الاسلام وجمع كلمة العرب المتفرقة على الاعتقاد الصحيح والتهذيب الكامل والعدل الشامل فكانوا بذلك سادة لتلك الامم التي سبقتهم بالمدنية وبكل مقومات الامم قبل انحطاطها وتقدمهم

وقد جاءت في كلامه كلمة فيها روح الحق لو فهم ماترمي اليه لما كتبها وهي ان العرب فتحوا أولا بامتلاك سوريا ولولا ان رأوا أنفسهم مهددين بالروم الذين يحيطون بهم من كل جانب لما تصدوا لافتتاح غيرها . وروح الحق في هذه الجملة هو ان السبب الصحيح في زحف المسلمين الى سوريا هو اعتداء أهلها من العرب المتنصرة وغيرهم على من يدخل

في الاسلام وقطع الطرق عليهم ومنعهم من التجارة وانما شرع الجهاد في الاسلام لاجل تأمين الدعوة ليكون الانسان على الدين الذي يختاره بلا إكراه ولا اجبار. ثم انهم بعد ذلك صاروا محاربين للروم الحاكمين على سوريا ومصر وغيرهما من الاقطار ومثل هذه الحرب لاتنتهي الا بتدويخ احدى الطائفتين الاخرى . ومثل هـذا المقام يشتبه على الاكثرين وسنبينه في المقال الموعود به في تاريخ الحرب واصلاح الاسلام فيه

ثم أراد الكاتب ان يبين اسباب سقوط الدولة العربية فذكر اموراً (احدها) ان ما بني على الظلم مهدوم فان الامم التي خضعت للعرب كرها كانت كالماء المحصور بسد عظيم يطلب ثغرة ينفجر منها : ولو كان سقوط الدولة العربية بخروج السوريين والمصريين والفرس عليها واشغالهم نيران الثورات والفتن الاهلية في بلادهم لاسقاطها أو إزالة ظلمها لكان لقوله وجه ولكن شيئا من ذلك لم يكن اذ لم ير أهل هذه الممالك أرحم ولا اعدل من دولة العرب فهذا السبب مخترع من مخيلة الكاتب المتعصب كما ترى

(ثانيها) ان اتساع المملكة وعدم وجود رابطة بين اممها غير الدين كان يجزئها: ولهذا وجه يشرح بغير ماقرره . (ثالثها) عدم مهادنة دولة الروم : وهو كما ترى لاقيمة له.

(رابعها) أن اطلاق الخلفاء لحكام المقاطعات والولايات الحربية التامة في تدبير شؤون ولاياتهم حمل هؤلاء على الاستبداد والاستقلال عند ضعف الدولة. وهذا سبب صحيح مسطور في الكتب لاينازع فيه ولكنه لايرد غليل تعصب الكاتب

(خامسها) وهو المهم عنده ان التعصب الديني واضطهاد المسلمين لتلك العناصر المختلفة والتضييق عليهم في كل شيء بسبب الاختلاف الديني حمل هـذه العناصر على كره الاسـلام وخلفائهم وولاتهم وحمل مسيحيي سوريا على الاخص على مد يد الاستغاثة الى اخوانهم في أوربا حتى جروا على المسلمين الحروب الصليبية المشهورة

وهذا كما ترى مكرر مع الاول لايزيد عليـه الا في ذكر نتيجة كراهة نصارى سوريا للمسلمين . وقد أنسى الكاتب تعصبه أن الحروب الصليبية ماحدثت الا بعد انحطاط الدولة العربية فكيف يكون الشيء سببا لما وجد قبله ؟؟؟

التاريخ الصحيح يشهد للعرب بأنهم كانوا أعدل الحاكمين والحروب الصليبية لم تحدث بسوء معاملتهم ولكن بتعصب نصارى أوربا. وذكر كتاب النصارى العارفون بالتاريخ ان الذين

أساؤا معاملة زوار القدس هم السلجوقيون وان تعصب أوربا آثار لذلك . جاء في دائرة المعارف ان زوار النصارى كانوا يفدون الى بيت المقدس على عهد الدول العربية ويذهبون « بأمان وطمأنينة ولا سيما في زمن العباسيين حتى قيل ان هارون الرشيد الذي استحكمت الصداقة بينه وبين معاصره شرلمان بعث اليه بمفاتيح بيت المقدس تأمينا لقلوب الزوار وتطييبا لخواطرهم . فكان القبر المقدس وكنيسة القيامة في أيديهم يتمتعون بزيارتها بلا معارض ولا يدفعون الا اليسير من المال . ولما انتقلت الخلافة الى الفاطميين واستولوا على القدس سنة ٩٧٢ م ساروا على أثر العباسيين وظلوا يحسنون الى المسيحيين وزوارهم الى ان قام الخليفة الحاكم بأمر الله فضيق على النصارى وشوه الأمكنة المقدسة عندهم وآذى الزوار فقلقت أوربا لذلك ولكنها ما لبثت ان عادت الى السكون لان خلفاء الحاكم رجعوا فأحسنوا السياسة . ولما استولى السلاجقة على بلاد فلسطين ظلموا النصارى وضايقوا زوارهم فهاجت الخواطر في أوربا » الخ فقد رأيت ما اعترف به مؤلف الدائرة وهو نصراني عالم بالتاريخ يقل نظيره في كتاب العربية . اعترف بأنه لم يظلم النصارى أحد من ملوك العرب الا الحاكم العبيدي وقد كان مجنونا يظلم النصارى يوما والمسلمين يوما ويحرم أكل الملوخية يوما ويحلها يوما ....

ولا يسع هذا الموضع ذكر الشواهد التاريخية على حسن معاملة العرب للنصارى وسائر الملل بالعدل والمساواة وكيف كان هؤلاء يفضلون سلطتهم على سلطة ابناء دينهم لا سيما في أول الاسلام إذ كان العمل بالدين دون السياسة . ولا يسع أيضا ذكر الاكاذيب التي افتراها قسوس أوربا على الاسلام والمسلمين ليهيجوا شعوبهم على غزو البلاد السورية وابادة المسلمين منها فقد خلقوا لنا من العقائد الوثنية والتقاليد الكفرية والعيوب الدينية والخلقية ما تقشعر منه الجلود ولا يخطر على بال أحد من البشر ان يخترعه الا أمثال هؤلاء المتعصبين الذي خلقوا لنا من بعدهم (رفول سعاده) فورث تعصبهم وقرائحهم القادرة على الاختراع . ومن شاء ان يرى العجب العجاب من ذلك فليقرأ كتاب (الاسلام — خواطر وسوانح) لكونت كستري الفرنسي الذي عربه احمد فتحي بك زغلول رئيس محكمة مصر

ولد التعصب الديني الذميم في أوربا وتربى فيها وساح الى الشرق فأفسده على أهله

ولم يكن قبل حرب الصليب غلو في التعصب على المخالف في الدين يذكر بعد ما علم العرب الناس التساهل بالعدل والمساواة بينهم وبين غيرهم فمكن بذلك ما كان بين اليهود والنصارى من قبل . وكل ما كان يقع من النزاع والخلاف بين المختلفين في الدين فقد كان يقع مثله بين أهل الدين الواحد والجنس الواحد ومن شاء زيادة البيان في هذا فليراجع مقالات (التعصب) التي نشرناها في السنة الاولى للمنار فقد كانت موضع إعجاب النصارى والمسلمين

افتات رفول سعاده على العرب وجردهم من مزية العدل والانصاف التي شهد لهم بها العالم أجمع ولم يكتف تعصبه بهذا بل جردهم أيضا من سائر المزايا العلمية فقال «وهكذا سقطت الدولة العربية ولا أسف عليها لانها لم تترك أثرا صالحا الا نشرها اللغة العربية في اطراف المعمور» : ولو سأل مؤرخي الفرنجة وفلاسفتها وعلمائها عن آثارهم لقالوا له ان العرب أحيوا العلم بعد موته والفلسفة بعد دفنها والفنون بعد تلاشيها وانهم اساتذتنا في كل العلوم والمعارف فيا أسفى على دولتهم ويا أسفى على أيامهم وياليتها دامت أو طالت، وبلغت من السعي في الفضل ما أرادت، ليأخذ العالم عنها كل شيء كاملا : يقرأ تاريخ [illegible] المؤرخ وكتاب الفيلسوف حيون وغيرهما من الكتب الافرنجية بدلا من رسائل [illegible] الراهب وخطبه التحمسية التعصبية فذلك خير له ان كان يريد أن يكتب ما مقبولا عند العقلاء ويخدم سوريا العربية التي يملك معظمها المسلمون

ان الكاتب يفتخر بالسوريين الاصليين الذين انقرضوا وبادوا وصارت سوريا بعدهم عربية خالصة. فليخبرنا أي أثارة من علم تركها السوريون الاصليون وهم قبائل نيفليم وأميم ورافايم وزوزيم وعناقيم . وان ذكر الفينقيين أقل له انهم جاؤا سوريا من جبال كردستان وليسوا بسوريين أصليين فهم فاتحون كالعرب ولم يكن لهم من الآثار العلمية مثل ما للعرب وإنما كانوا أصحاب ملاحة وتجارة

أعود في آخر هذه النبذة الى معاتبة نفسي على تفنيد كلام مخترع كلام هذا المتعصب الغالي الذي غرني بأوائله نشر جريدة المناظر محبة الانصاف له ولعلها تنشر الرد عليه ليكون هذا كفارة لذلك والله يتولى هدانا أجمعين . (للرد بقية)